عُلو الهمَة

ودناءة الهمة

صبري بن سلامة شاهين

مصدر هذه المادة:



دار بلنسية

بسم الله الرحمن الرحيم

عماد: ماذا تفعل يا ياسر؟

ياسر: أوه يا عماد! لو تعلم ماذا حققت من نجاح باهر؟

عماد: نجاح؟! نجاح في أي شيء؟!

ياسر: لقد عثرت على طابع بريد فريد في نوعه، لا يوجد مثلـــه في الدنيا.

عماد: ما هذا يا ياسر؟ ما هذا؟! هذا هو النجاح الباهر.

ياسر: نعم، نعم يا عماد؛ لقد اتصلت على أصحاب لي في كثير من دول العالم من هواة جمع الطوابع، وأخبرتهم بخبر هذا الطـــابع، فانبهروا به جميعًا، وتشوقوا لرؤيته.

عماد: سبحان الله! سبحان الله! لماذا هذا الانبهار والاشتياق؟!

ياسر: لو تعلم يا عماد كم كانت فرحتي عندما كنت في أوروبا مع والدي، وتعرفت على شباب عندهم طوابع في غاية الأهميـــة، ولكني بحمد الله عثرت على هذا الطابع لدي عجـــوز كـــبير فاشتريته منه بألف دولار.

عماد: أوه! ماذا تقول؟! بألف دولار.

ياسر: نعم بألف دولار. إنها فرصة نادرة، ولو طلب مني أكثر مـــن ذلك لدفعته.

عماد: ولكن يا ياسر هذا الألف دولار لو دفعته للفقراء لكان ثوابه

عند الله عظيمًا.

ياسر: يا عماد لن يتوقف الخير عليَّ.

عماد: ولكن يا ياسر! لو قال كل واحد منا مثل قولك، واعتمد على الآخرين فلن تجد أحدًا يجود بشيء من ماله.

ياسر: لكن يا عماد هذه هوايتي، أجد فيها سعادتي، ولا تدري كم تكون فرحتي إذا عثرت على شيء نادر من الطوابع أو العملات.

دخل عبد العزيز عليهما قائلاً:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ياسر وعماد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

تفضل يا عبد العزيز.

عبد العزيز: في أي شيء تتحدثان؟

ياسر: لقد عثرت على طابع نادر وعجيب ... أول طابع أصدر في العالم؛ لا يوجد مثله عند أحد.

عبد العزيز: أرني إياه يا ياسر، أوه! إنه تحفة غالية الثمن نادرة الوجود ... بكم اشتريته يا ياسر؟

ياسر: بألف دولار فقط.

عبد العزيز: بألف فقط! يا لها من فرصة ثمينة!

إنك بحق يا ياسر صاحب المواقف النادرة والحظ العجيب.

عماد: ماذا تقول يا عبد العزيز؟ ظننتك ستنكر عليه ضياعه للألف دولار هذه.

عبد العزيز: هل تظن يا عماد أن الألف دولار هذه ضائعة؟ لا، لا يا عماد! هذه سذاجة؛ هذا ظن خاطئ.

عماد: تسمي كلامي سذاجة يا عبد العزيز، سامحك الله، والله يا إخواني لو عرض علي هذا الطابع بريال وحد لما دفعت فيه ريالاً واحدًا.

ياسر: أما أنا لو قيل لي: ادفع أكثر من ألف دولار. لدفعت.

عبد العزيز: هذا رأيك يا عماد ... احتفظ به لنفسك، ولا تفرض رأيك على الآخرين.

عماد: المسألة يا عبد العزيز ليست مسألة رأيي ورأيك؛ الأمر أَهَمُّ من ذلك؛ فالنصح واجب بين المسلمين، وحُبُّ الخير لإخواني هو الذي يدفعني لأقف مثل هذا الموقف.

عبد العزيز: هذه حرية شخصية ... أنت تهتم بشيء، وأنا أهتم بشيء آخر.

عماد: ولماذا تهتم بتوافه الأمور؟ فلو دفعت ريالاً إلى فقير وأدخلت عليه السرور لكان أفضل لك وأحب عند الله – عز وجل.

ضحك ياسر وعبد العزيز ضحكات عالية استنكارًا على عماد.

ياسر: إنك يا عماد لم تتذوق مثل فرحتي عندما عثرت على هذا الطابع.

عماد: ولكنك يا ياسر لا تدري بقيمة الصدقة وفضـــل إدخـــال السرور على المسلم.

وصدق الشاعر:

وإذا النفـــوس كُـــنَّ كبـــارًا

تعبـــت في مرادهـــا الأجســـامُ

عبد العزيز: ولكن يا عماد ما يقوم به ياسر مباحًا وليس حرامًا.

عماد: حتى وإن كان مباحًا؛ فلماذا نُضَيِّعُ أعمارنا وأموالنـــا فيمـــا ليس فيه فائدة، والرسول ﷺ يقول: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟**».

دخل الجد زكريا قائلاً:

- نعم، وماذا عمل فيما علم؟ صدق رســـول الله ﷺ ... الســـلام عليكم يا أبنائي.

قالوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الجد: ما مناسبة هذا الحديث يا عماد؟

ياسر: وجدت عبد العزيز وياسرًا مشغولين بجمع الطوابع والعملات وصور اللاعبين والممثلين.

الجد: صحيح يا عبد العزيز، وأنت يا ياسر ما قاله عماد؟

ياسر: إنها هواية يا جدي! مثل التزحلق على الثلج ولعب الكـــرة

وصيد الأسماك؛ هواية لا أكثر ولا أقل.

عبد العزيز: نعم؛ هواية يا جدي! فلا نغتاب أحدًا ولا نفعل حرامًا.

عماد: اجلسوا يا أولاد! اجلسوا.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشـرافها، ويكره سفسافها**».

عماد: ما معنى هذا الحديث يا جدي؟

الجد: أي أن الله يحب صاحب الهمة العالية، ويكره صاحب الهمة الدنية.

عماد: وكيف يكون الواحد منا صاحب همة عالية؟

الجد: يا بني، لكي تكون صاحب همة عالية فعليك أن تتحلى بأمور؛ منها: العلم والفقه في الدين، إرادة الآخرة والسعي لها، كثرة ذكر الموت، والدعاء والابتهال إلى الله أن يمنحك همة عالية وإرادة سامية، وأن تجتهد في معالي الأمور، والابتعاد عن قرناء السوء أصحاب الهمم السافلة، ومصاحبة أولى الهمم العالية، ومطالعة نماذج من أصحاب الهمم العالية.

عماد: هل تذكر لنا بعض النماذج هذه؟

الجد: حسنًا حسنًا ... لقد روي في قوله – تعالى – ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ أن الصبيان قالوا ليحيى – عليه السلام – وهو صغير: اذهب بنا نلعب. فقال: ما للعب خُلِقْتُ.

وكذا الإمام النووي صاحب كتاب رياض الصالحين عندما كان

طفلاً له من العمر عشر سنين؛ كان الأطفال يُكْرِهونه على اللعب معهم؛ فكان يهرب منهم ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال.

سكت الجَدُّ قليلاً، فقال له عماد: صدق الشاعر القائل:

ومن يَتَهَيَّب صعود الجبال

يعش أبد الدهر بين الحفر

قال ياسر: اذكر لنا نموذجًا آخر؛ لقد شوقتنا لسماع أخبار هؤلاء الناس.

قال الجد:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

لقد اجتمع عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير وأخوه مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة، وكانوا فتية في مثل أعماركم، فانظروا إلى هممهم وتطلعاتهم وأمانيهم. فقال لهم مصعب:

تمنُّوا؛ أي أنَّ كلاً منكم يتمنى أمنية ويدعو الله أن يحققها له. فقالوا لمصعب: ابدأ أنت.

فقال مصعب: أتمنى ولاية العراق وتزوُّج سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله. فحقق الله مرادَه وأمنيَّتَه، وتَمَنَّى عروةُ أن يكون فقيهًا ويُحملُ عنه الحديث فنال ما تمنى، وتمنى عبد الملك أن يكون خليفة المسلمين، فنال ما تمنى أيضًا،

وأما عبد الله بن عمر فتمنى الجنة؛ هكذا تكون الهمة العالية.

وصدق الشاعر القائل:

إذا كنـــــت في أمـــــرٍ مـــــرومٍ

فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم

فقال ياسر: والله يا جدي لقد بغَّضْتَ إليَّ هوايتي وما كنت مولعًـــا به محبًا له، والحمد لله الذي بصَّرَني بعيب نفســـي، وأنـــا الآن أشعر بندم شديد على ما ضاع من وقتي ومالي فيما ليس فيـــه فائدة.

قال الجد: هذه بداية طيبة يا ولدي، وندمك هـــذا علامـــة خـــير وبشرى إصلاح.

وصدق الشاعر القائل:

قـــد هيَّـــؤوك لأمـــر لـــو فطنـــت

له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَـــلِ

قال ياسر وعبد العزيز: من الآن تغيرت نظرتنا واهتمامنا وتطلعاتنا، ونسأل الله – عز وجل – أن يهيئ لنا من أمرنا رشدنا.

وصدق القائل:

لســـــنا وإن كَرُمـــــت أوائلنـــــا

يومًـــا علـــى الأحســـاب نَتَّكِـــلُ

نـــبني كمـــا كانـــت أوائلنـــا

تـــبني ونفعـــل مثـــل مـــا فعلـــوا